ذو الحاجب الغزير

قصة قصيرة

للكاتبة: زكية أحمد

ذو الحاجب الغزير

للكاتبة: زكية أحمد

قصة قصيرة

Ds: Afraa Emad

في المقدمة :

"عزيزي القارئ لن أطلب منك أن تعيرني مخيلتك ولا عقلك فهذا الكتاب مقتبس من واقعٍ أنا أشاركهُ معك، سأسرد لك كل ما قدْ حدثَ في دقائق تولد بعدهَا شيءٌ عميقٌ جدًا .

ولأضيفَ عنصرَ التشويِق، سأترك كلماتِي تكشفُ لكَ وليدةَ تلك الدقائق المميزة "

زكيه أحمد

فى ذاتِ مكان

ذاك اللقاءُ، والملامح السمراء كسمرةِ الشُوكُلاه، أو ربما كسُمرةِ كوب دافيءٍ من القَهوةِ لستُ أَدرِي !

تلكَ الحواجبُ الغزيرةُ كسيفٍ نبيل خاضَ أشجع المعاركِ، وأعتقدُ أيضَا تلك المعركةَ التي إغتنم فيها قَلبِي !

تلك النظارةُ ذاتُ العدساتِ الشَّمسِية، عجلتهُ لأمرٍ مهم كانَ في الهَاتِف، كل ذلكَ الوصفِ ولم يمر على لقائنا سوا بضعِ دقَائقْ .

أكملتُ طريقي برفقةِ أخِي وأنا أحدثهُ عن تلك الحواجبِ وأقلدِهُ في حديثهِ عَلى الهاتفِ .

وصلت إلى المكان المنشودِ ظنًا مني بأن ذلك اللقاءَ الغريب إنتهى مع تلك الدقَائقِ، والمفاجأةُ في حينِ وُصولِي، وجدتهُ في ذات المكان المنشودِ الذَّي قَد كَان فيهِ مُبتغايَ .

كنت ضَائعةً في تلكَ الدهاليزِ التِّي كنتُ أفكِر فِيها حاليا، فَقد باتت حقيقةً على أرضِ واقعٍ مَلمُوس .

نَعم !

تلبكتُ، إرتبتُ، ولم أنطقْ ببنتِ شفةٍ، سوا أني إكتفيتُ بإبتسامةٍ لطيفةٍ عفوية، ثمَّ أكْملتُ إلى مَا قَد أتيتُ إِليه .

خرجتُ بعدَ أنْ أتممتُ مُهمتِي وأنا في صراعٍ مع عينيَّ، والتساؤلات تجول بِخاطِري، تنهشُ أفْكارِي، وتلعبُ بِعقْلي، هَل هذا هُو ؟!

لا أعْتقد ، وبعدَ صراعاتٍ ومشاحنات نعم إقتنعتُ أنهُ هَو .

ذهبت إلى منزلي، أنتظر يوم غدٍ لأراهُ ثانيةً .

تلكَ الطَاوِلة وأولُ حَديِث

فِي ذَاك المَكانِ نفسهِ، وأنا أخذتُ ما أُريد وكنت مقبلةً على الخروجِ، رأيته يجلسُ معهم في طاولة إلى داخل المَمِر الصغيرِ، ندهتْ عليَّ قريبتِي لتُعرفنِي عَليهِم، ذهبتُ وأنا أجرُّ أذيالَ الفضولِ، وقد تَملكتْنِي بعضُ أحاسيس الخجلِ، التوترِ، مع تدفقٍ غزيرٍ للدماءِ في شرايينِ وجِهي .

ما حدثَ في تلكَ الطاولةِ أنَّهم كَانُوا يتناقشونَ في كتابٍ عن الأَخْطاءِ الإنْجليزِيَّة، أمَّا أنا فكنتُ أصغي بصمتٍ يسيطرُ عليهِ الخوفُ والمزيدُ من الخجلِ، تَشابكتْ أصابعُ يديَّ مع بَعضِها، إلى أن قاطع ذلكَ الصمتُ

سؤال قَريبتِي :

"يشبهُ إبن أُخْتِي في تصرفاتهِ البريئةَ، وطريقة الحديثِ"

أردفتُ قائلةً ولم أدري لما قلت تلك الكَلمةَ أنهُ "كيوت" .

عم الصمتُ قليلاً، ثم بعدهَا، ضحكات متتاليةٌ على وَصفِي، لننهيَ ذاك اليوم بالتعارفِ وكل مضى في سَبيلهِ .

بُودكَاست مَحمد عَبدالرَّحمَن

في عصر ذاك اليومِ، وقد إعتدنا على الحديثِ الدسمِ لتحسين اللغة الإنجليزية، إقترحَ عَلينَا أن نستمعَ إلى بودكاست وعنوانهُ "جار الكتابة" .

إلى هذه اللحظة وأنا أتذكر جيدًا كيف فسرت كلام البودكاست بكلِّ غَباء وطفولية وعَدم تَفكير، ولكن بعد أن إستمعتُ إليه لعدةِ مرات، أدركت المقصدَ وتدبرتُ المعاني جيدًا .

ولأول مرة كنتُ قد وقعت في حبِ الاستماعِ إلى البودكاست، وأدمنت مقدمهُ "محمد عبدالرحمن" .

وإلى يَومنا هَذا وأنا أصغي وأتلهفُ لكل كلمةٍ تقال في بودكاست أَزرقْ، وقد فتح على منغلقاتٍ وخففَ كثيرًا من العقباتِ .

مرتِ الأحداثُ، المناقشات والكثيرُ من المجادلاتِ وأَيضًا بُودكاست أزرق، تَوطدت العلاقةُ، والتواصلُ اللطيفُ .

عزيزي القارئ أنا أكتب الآن وأحاول أنْ أنتقى عذبَ الحروفِ لأصف كم كنت وما زلتُ سعيدة بهذا الصَّديقِ، والأخِ، وأيضَا ستكتشفُ باقِي الأحداث في الصفحاتِ القَادمة .

يومٌ مَاطِر

أكتبُ الآن في الساعةِ الثالثة إلا ربع بتوقيتِ القاهرة، ولكن بتوقيتهِ هو مكانٌ بلا موعِد .

كنّا في المعهدِ وقد إكتست السماء بغيومٍ رمادية اللونِ في غمضةِ عينِ، وأنْذرتِ السماء بهطولِ أمْطارها، والذي زادَ الجو جمالاً الحزامُ الأخضرُ خارج القاعةِ .

كنا في محاضرة اللغة الإنجليزيةِ، ولكنْ أنا مع درر السماءِ المتناثِر على الورقِ الأخضر، وقد خرجتُ عن نطاق المحاضرةِ تَمامًا، إضطررنَا لإيقافها وختام المناقشةِ طلبًا منِّي لإكمالِها في الخارجْ وقد كان .

وصاحبنا ذو الحاجب الغزيرِ كان يسبقني في المُستَوى، وكان النقاشُ بيننا وبينهم، أكملنا الحديثَ وسط أمطار ذاكَ اليوم الجميلِ، وأيضا أخذنا صورًا للذكرى، منهَا الجماعية والفردية ولن أنسى أيضًا صديقتي، فقد ذهبنا للساحةِ الخلفيةِ الصغرى لنأخذ حريتنا وراحتنا في الصور، فمنها ما كان جادًا ومنها ما كان في سبيل المزاح والبلهِ والضحكِ .

إنتهى اليوم وكنا نتسابق في طريقنا للمنزلِ وقد غير صديقنَا طريقهُ في عجلةٍ من أمره بعد أن ودعناهُ .

أكملنا أنا وصديقتي إلى مكان البوظة في عز قطرات المطر التي شارفتْ على النهايةِ، نأكل البوظة الباردة وندخل في حفر المياه، إلى أن أوصلتها منزلها وقد ملأت حذائي وحلاً وماءً .

ختمت يومي الماطرَ بغسلِ حذائي بعد توبيخٍ شديدِ اللهجة من أُمي .

قَرارٌ مُتهوِّر

فِي ذَاك اليَوم الذَّي أذكرهُ وكأنه بِالأمسِ، كان لدينا إمتحان ولم أذاكر بِجد والخوفُ يسيطرُ على أطْرافِي وأفْكارِي، وجدتُ المدرساتِ ومن ضمنهم مدرستِي وكان صديقي أيضا يجلس معهم في الخارجِ قبل بدأ الإمتحان .

حللت البعضَ من الأسئلة التي عَرفُتها وكانت صديقتي فِي الخَلف تَتذَمرُ من صُعوبَتِها وأنا قد نفدَ الصبر منِّي، مزقتُ الورقةَ ونهضتُ من مَقعدي والدَم يَغلِي في شراييني حدَّ التبخرِ أخذتُ الورق الممزقَ، ذهبت للمُدرسة متعذرةً بعدمِ الحَّل وأنَّني لنْ أسْتطيعَ الإكْمال، وبعدَ نقاشٍ طويلٍ مني ومنها خرجتُ تاركةً المعهد .

التقيتُ بصديقنا في الخَارِج وحاول التحدث معي بأن لا أتركَ المعهد لكني عنيدة جدا لم أسمعه وخرجتُ من فَورِي .

كنت أعلمُ تمامًا أن قراري متهور جدًا ولكني بسببِ إهمالي أوديت بنفسي لهذه المكانةِ، وصلتُ منزلي وأنا على وشكِ الإِنفجار ضممتُ وسادتي بعد أن بللتها بالدموعِ ندمًا وتحسرًا مِنِّي .

نمتُ في مكاني وأنا لا أَدرِي كيف ومَتى، استيقظتُ برنين هاتفي وكانت المتصلةُ صَديقتِي تعاتبني على هذا القرار وخروجي بدون تَوديِعها أخبرتها والدموع تمنعُ صوتي من الظهورِ بوضوحٍ حتى أغلقتُ الخطَّ لعدمِ قدرتي على الحديثِ معها، وجدتُ رسائل أيضا من صديقنا ذو الحاجب الغزيرِ يعاتبني هو أيضًا ويطلبُ منِّي العَودة وصددتهُ بالرفضِ التامِّ .

إنتهى اليوم وأنا بين أفْكارِي وقراري على العودةِ وتركي لأصدقائي .

رَصاصةٌ طَائِشة

لم أكُن أريدُ العودةَ للكتابِ عَزِيزِي القَارِئ ولكنَّي تذكرتُ بستانَ الذِكرياتِ مع فَقيدِي، ركضتُ وشوقِي يَسبِقُنِي، وجدتُ رمادَ الحُزنِ قد طَغَى عليهَا أزَحتُه عَنها، أخذتُ واحدة أعيدُ بها شَغفِي لأكتب إلى صَاحبِ الحَاجِب الغَزِير .

بعدَ تَركِي للمَعهِد لمْ ينقطعِ التواصلُ بينِي وبينَ أصدقائي هُناك، بل ذهبتُ لهم مرةً بحجةِ أنَّ لديَّ غرضٌ أتيتُ لإِسترجَاعهِ وأنا أتيتُ رهينة أشواقِي .

صَادفتهم يجلسونَ في نفس الدائرةِ التي طالما إعتدنا جَلستَها للمُناقَشة استرقتُ منهم النظراتِ أولاً ثُمَّ أخذتُ شهيقًا بعمقٍ وجلستُ مَعهُم تبادلنا اطرافَ الحديثِ أيضًا وأثناء حديثنا سَألنِي صديقنا هل من أملٍ في رجوعكِ مرةً أُخرى ؟!

أجبتُه بالجزمِ "لا" وكانَ جَوابِي رصاصةً خَرجَت بطيشٍ منِّي ولكِّنها لم تَقتُل شخصًا بل قَتلتْ كَلماتهِ !

وكأني بتلكَ الفعلةِ تخلصتُ من آخِر بصيصِ أملٍ لديهِ بعودتِي، أحسستُ بتأنيبِ ضميرِ القاتلِ، أخفيتُ دموعًا حديثةَ الموقفِ عُمرُها ثانية، وَدعْتهم وهممتُ بالرحيلِ .

عِند وُصولي للمَنزل طرحتُ فكرةَ العودةِ لأُمِي ولكن رصَاصِتي الطَائشَة عادتَ إليَّ أنا عندما صَدمتني هِي بِردهَا "لا" .

وهُنا تذكرتُ مقولةَ "كما تدينُ تُدان" .

دُون مُسَّمى

ليالٍ مُتعِبة، بريقٌ في عَدسَاتِي العسليةِ يختبيءُ خلفَ نظارتِي ذهبيةِ اللونِ، عَقْلي حائرٌ، وقَلبِي متيقنٌ متعلقٌ بهِ بشكلٍ غَريب، ويظل عقلي عالقًا في جوفِ التساؤلاتِ التي من بينهَا علاقةٌ عادية أكملتْ عامهَا الأول دونَ مَسمًا، وكأنها وليدةٌ نوعٍ لطيفٍ من العلاقاتِ العَادية .

ويبقى سؤالي العالقُ بجدرانِ عقلي :
"إلى متى سيحتلُّ اللطفُ والحيرةُ عَلاقَتي بِهِ"

فتارةً نحنُ كالأطفالِ في الحديثِ، وتارة كأحد كبارِ المثقفينَ نتشاركُ ما يدورُ في يَومِنا مع القليل من الجدِّ، أشعرُ ويكأنهُ أخي أو أبي أو صديقي أو ربما شيءٌ لطيفُ في منتصفِ اليومِ .

فهوَ كنوادرِ الأحداثِ، فلتةٌ في عالمِ البَشرِ، هدوءُ العالمِ مسجونٌ في شخصهِ، لو أن العالمَ فقدَ الهُدوءَ يومًا لقصدوه في مهمةٍ إعادةِ توازنٍ إنسانِّي .
قليلُ الحديثِ أحيانًا لو تحدثَ إليكَ لأدمنتَ حديثهُ، أقللُ كلامِي معهُ لكَي أقي نفسي إدمانًا أحبهُ وأشتاقُ لِبعدهِ، وأزهرُ مع عودتهِ .

مطمئنُ كلحظةٍ أتتْ بعد قرون قلقٍ، مريحٌ جدًا بعد سفرٍ طويل، طبيبٌ (في مستقبلهِ المزهرِ أكيد) لو وُضعَ بينَ أطباءَ العالمِ لعرفتهُ من أول وهلةٍ، في ملامحهِ قبولٌ لو وزعَ على أهل الأرضِ لكَفاهُم .

بهِ جمالٌ من الروحِ كافي لينير طرقات مدنٍ مظلمةٍ، بسيطُ المعشرِ معقدُ الفهمِ، ما خالطَ أحدًا إلا وتركَ فيهِ أثرًا جميلاً، يغضبُ بغزلٍ، أشعرُ وكأنه الصوابُ الوحيدُ في كم أخطاءِ الرجالِ، يضحكُ بحبٍ، يحزنُ بعمقٍ، يعطِي بسلامٍ ويمنعُ لعذرٍ .

سأختصرُ حديثي هنا، فهو منةٌ من الخالقِ، وما المَنَنُ إلا لنَشكرَ عليهَا، نُحدثَ عَنها ولكن نحتفظُ ببعضِ تفاصيلهَا، فأنا أخشي عليهَا من العالمِ .

لوحةُ كاتِب

نظارةٌ ذهبيةُ اللونِ، عدساتٌ عسليةٌ، نسيمٌ لطيفٌ يغزوُ المكانَ، وأنا أكتبُ أو أرسمُ بتلكِ العدساتِ خلفَ نظارتِي، ملامحهُ قابعةٌ لا تفارقُ لبِّي، أحاولُ أنْ أجِيدَ إنتقاءَ حروفٍ لأجلهِ كما يَنتَقِي الرسَّامُ ألوانَهُ .

لونُ القهوةَ !نعم فهي تأخذُ لونَها منْ سَمارهِ المريحِ للنظرِ، تخرجُ من فيهِ الكلماتُ كقطعِ السكَّر ليكتملَ كوبُ قَهوتِي حلاوةً ولِذّة .

النظارةُ التي تُغَطِي حاجبيهِ وعينهِ، والابتسامةُ وسطَ الجدِّ والتعبِّ، التلعثمُ في تقديمِ مناقشاتهِ أمامَ الناسِ، جرابُ هاتفهِ البنفسجيِّ، حقيبتهُ زرقاءُ اللونِ، إنَّها اللوحةُ التِّي يحتفظُ بهَا عَقلِي .

صخورُ الأوجاعِ بينَ يدهِ تُزهِر، وجودهُ منارةٌ تَقينِي التخبطَ فِي حنادسِ الطُّرقاتِ المظلمةِ ..!

الآن وجدتُ الألوانَ المناسبةَ لأكتبَ بِها لوحتكَ، إنها ألوانَ قوسِ الفرحِ، نعمُ فكلُ شيءٍ هادئ يتشبهُ بكَ .

أصلحْ نفسكَ وتَصالح معاها فتَتَصلحُ وتصلحنِي بصلاحهَا، أنا أثقُ بكَ، فأنتَ ستعانقُ أحلامكَ ما دامت أنفاسكَ لا تُشترى ولا تُباع، وستمضِى قدمًا مانحًا أحزانكَ قبلةَ وداعَ .

هذهِ لوحتَى عنكَ حاضِرا ومستقبلاً يا صاحبَ الحاجبِ الغزيرِ، والتِّي أوقعُ عليها " ومن بينِ كل تلك اللاجدوى، كُنتَ أنتَ جَدوايَ ".

خَلفَ السِّتارِ

تفاصيلٌ عِدة لا نهتمُ لِأمرهَا ولا نلقي لَهَا بالاً، نَأخُذها بعدمِ إكتراثٍ غير آبِهينَ بَها وكأنَّ نجاحَ المسرحياتِ والعُروضِ التَّي نراهَا لايَمرُّ بهذهِ الخطوةِ الشبهِ مُهمَّشة .

في ذاتِ المكانِ الذي منهُ بدأت القِصةُ، كانت المحاضرة اليومَ بحضور ثلاثةٍ من أكبر العاملين عَلى إنشاء المناقشاتِ وجذبِ المتحدثينَ بطلاقة لست أدري ماذا يطلقُ عَليهِم، المهم سأروي أيضا تفاصيل ذاك اليوم المشمسِ جِدا بعد أن تم تجهيزُ المقاعدِ للمشاهدينَ والضُّيوف .

بدأ النقاشُ والذي أذكره إن لم تخنِي ذاكرتي أن صديقنا كان في الفريقِ المؤيدِ لفكرة المَوضوعِ، تحدثتْ أولاً زميلتهُ وكانَ هو بَعدها، وقفَ أمَامنا يرتدي قميصَ لونهُ كَشاي بلبنٍ وبنطالٍ بنيٍّ اللونِ كزبدةِ الكاكاو، وبدأ الحديثَ المُتلعثِم مع إرتجافِ يديهِ وضرباتِ قلبهِ التي كادت أن تَكسرَ قفصهُ الصدريَّ لِشدتَها، أنا وحدي في الغالبِ من أنتبهتُ لتلك التفاصيلِ الشبهِ ظَاهرة، ولا أنسى أيضًا أنهُ في البداية كان يخرجُ الكلماتِ بخوفٍ وكأنها كانت تدفع كل منها الأُخرى خَجلاً من مواجهةِ الجمهورِ .

ولكن رُغمَ هَذا عزيزي القارئ فَقد أبلى بلاءً حسنًا، وأجادَ إنتقاءَ الكلماتِ، حسنُ الإقناعِ الذي يمتلكهُ والهدوء بين كل كلمةٍ وأخرى وكأنه يحترم تلكَ المفرداتِ .

وكلُّ هذا وهو لا يدري بَعد بأن كل ما حفظتهُ عنهُ لم تكنْ سوا تفاصيلٍ من وراء ستارِ الصمت، فأنا بطبعي تَجذبُني التفاصيل الصَغيرة، وإن لم تكن مهمةً ولم يلقي لها أحدٌ البالَ، فأنا من أشدِّ المحبينَ لَها .

يومُ المُناقَشة

عصرٌ مشمسُ والجو حارقٌ وكأنَّ الشَّمسَ ساخطةٌ على كوكَبِ الأرضِ .
وصلتُ إلى المعهدِ وأنا أتصببُ عرقًا، وجدتهُ خاليًا تمامًا من الناسِ، سألتُ من بداخلِ المكتبِ ليتمَّ صَدمِي بأنهم غيروا المكانَ لمناقشةٍ مع طلابِ المعهدِ الآخر .

انتظرتُ قليلاً وأنا بين قرار العودةِ للمنزلِ والإِنتظار (شيئًا منِّي هُنا، أو رُبما كُلِّي ...!)
مكثتُ ببالي غيرَ بعيدٍ إلى أن وصلتْ صَديقتَي، سألتني لماذا المكانُ فارغٌ وأنتي وحدكِ، قصصتُ عليهَا ما حدثَ وأنهُ علينا مغادرةُالمكانِ إلى المعهدِ الآخرِ .

خرجْنا برفقةِ الآنسةِ دُعاء، وصلنا قبل البدءِ بلحظاتٍ وبحثنَا لنا عنْ مقاعدَ في الأمامِ، وكانَ صديقي صاحبُ الحاجبِ الغَزير يجلسُ تحتَ الشَّجرة إستعدادًا منهُ، أو ليراجعَ ما يريدُ تقديمهُ، كلُّ هَذا ونظراتِي لمْ تفارقهُ ..!

بدأ النقاشُ مع الفريقِ الأولِ صاحبِ المَكانِ، لمْ أستمتعْ كثيرًا بِجدالهمْ مع بعضْهم البعضِ ولا وجهةِ نظرهم تجاهَ الموضوعِ، كنتُ أثقُ تمامًا أن صديقِي هُو وفريقهُ من سيفوزُ بالجدالِ .

حانَ دَورهُم، تقدمتْ الفتاةُ الأولى، الثانيةُ وكانَ هو الأخيرَ "مسكُ خِتَامِهم"

بدأ بثباتٍ في البدايةِ، وعادتْ نوبةُ التلعثمِ التي أُدمِنُها، كان قلقًا متوترًا، مضطربَ الأركانِ، وضرباتُ القلبِ في تزايدٍ لم يلحظهُ حَتَّى هُو .

كنتُ أنظرُ إليهِ بنظراتِ إطمئنانِ وثقةٍ به ولكن لمْ يلحظنِي، نظراتُ ثقةٍ ويقينٍ بفوزهِ وختمهِ للجدل بأحسن حلةٍ وخاتِمة .

ثبتَ أخيرًا، إستعادَ ثقتهُ وكأنه أحسَّ بِي ونَظراتِي الحَادةِ، إنتهى النقاشُ بفوزهِ كما توقعتُ، نهضتُ من المقعدِ فرحًا، وذهبتُ نحوهُ قائلةً : "كنتُ مُتيقنةً بِفوزك وقدْ كان " .

قدمَ لنا حَلوى بمناسبةِ إحتفالهم بالنصرِ، أخذناها أنا وصديقتَي إلى أن إتصلَ أبي يُحثني بالعودةِ للمنزلِ لتأخرِ الوقتِ، أخذنا الحلوى وإِنصرفْنا .

كان النقاشُ ممتعًا والأمتعُ إنني كنتُ واثقةً من فوزنا وختمناهُ بصديقي الذي أحرزهُ عن جَدارةٍ وتمكن .

بَعضٌ من الرَّمَادِي

الضُّغوطُاتُ المُميتَة، سفينتكُ التَّي تتخبطُ بمياهِ الأَوجاعِ، الأحزانُ التي تنهشُ صدركَ وتَقسمُ ظَهركَ؛ أنتَ أقْوى مِنْها، وأنَا أَرَى تَعثُراتِك مُقاومِتكَ، مازلتَ تَستَقوِي، تُعافِر، تسقطُ في اليومِ والليلةِ ألفَ مرةٍ ولمْ ينتبهْ إليكَ غيرُ ربكِ وأنَا .

عَمودُ المشكلةِ وَرأسُها أنَّك كتومٌ، وتَهزِمك الظروفُ أحيانًا، وذاكَ نتاجُ أنَّك مَهمَا بكيتَ، سردتَ، حكيتَ؛ لنْ يَشْعُر بكَ أحدٌ قطُ، فليسَ من ذاقَ كمنْ عَرِف .

الحياةُ لَيستْ وَرديَّة ..

وكَما قُلتَ لِي لابأس بالقليلِ من الرماديِّ أَحْيانًا لِكَي تَمضِي الأيامُ وما مرَّ بِنا في مِحْرابها من سَخَافاتٍ ورياحِ الهمومِ العَاتِيةِ، كانَ لابُّد لَها لنصيرَ أقْوى على مقاومةِ الشَدائدِ، كانَ لابُّد أن تَصفعكَ مرةً، وتلقيكَ مرةً، كي تَنجُو لبرِّ الأمانِ .

كفى بالحياةِ ..!

كفى بالحياةِ ضجيجًا، ما دمتَ أنتَ هُدُوءهَا، وكَفى بالأيامِ وحشةً، مادُمت أنتَ أُنْسهَا .

وحقًا إني لأغارُ من الحُزنِ كيفُ يغزو وجهكَ ويطيلُ المُكُوثَ ؟

بل كيفَ يُلقِي نَفسهُ عَليكَ كُرهًا ..!

ولا أَنْسى أَنَّك قدمتَ لي كلَّ هَذا وأكْثر عِندمَا مددتُ يَدي وكنتَ لي سَند، وعندمَا عميتُ وألقاكَ الله لي قميصًا من ضوءِ الأَملِ فارتددتُ مُنِيرة .

يجبُ أنْ تحبِّ نفسكَ والخيرَ الذي زرع فيكَ، فحاشاهُ أن يمرَّ عليكَ صيفُ بحرهِ القاسِي، وشتاءُ بقسوته الباردةِ، وخريفُ تساقطتْ معهُ أوراقُ أحلامكِ وأمنياتكَ ولا يأتيها ربيعٌ فَتزهِر من جَديدٍ معهُ .

حافظْ على قلبكَ الأبيضِ، فاللهُ طيبٌ لا يحبُّ إلا الطيبينَ أَمثالكَ .

العَبقُ الأَسمَر

خَورازمياتٌ ومتاهات مُتداخِلة، فَكيفَ الولوجُ منهَا والخروجُ مِنها ؟!

كُلها يا عَبقِي الأَسمرُ ما هيَ إلا دروسٌ قاسياتٌ جعلتك أكثرَ قوةً وثَباتًا، القلوبُ كافرةُ الحبِّ، الأشخاصُ السَّيؤن، التجاربُ المُؤذيةُ، كَلها كانت كترياقٍ للطاقةِ لتكملَ بقوةٍ وشجاعة وتَبلغَ أعلى مراحل النضجِ واللامبالاةِ .

إعْتزِل ..!

كل من يُهملكَ، يُهمشك ويتغافلُ عنكَ، ومن يتفاخُر بالبدائلِ، فمن لم يَدخُل في ملةِ حُبك إلا من سفهَ نفسهُ وكانَ من الغَافلينَ .

فأنتَ تستحقُ من يفتتحُ دعواتهِ بكَ، ويسجدُ لأجلكَ سجداتِ شكرٍ مُتتاليةٍ، تستحقُ أيضًا أن تكونَ ملاذَ الأفراحِ والأتراحِ .

كلٌ منَّا لديهِ ما يتعلقُ بهِ في محرابِ فؤاده، ما يأتيه تائبً عن سواهُ، الداءُ العضالُ هو تركك وهَجرُك .

إزرعْ في بساتينكَ وروردَ الإطمئنانِ، يا شبيهَ العمرِ، ورائحةَ المطرِ، وأريجَ القمرِ، ورواحَ النفسِ، وعبقَها الأَسمر .

أنتَ للروحُ السكنِ، وللقلبِ همساتُ جبرِ خاطرٍ، وبالوناتُ شَجنْ، في أغانِي الحياةِ أنتَ الكلماتُ واللحنُ .

تَشبثْ بأحلامكَ، إنفضْ غبارَ اليأسِ من عدساتِ نظارتك، أكملْ إلى ما تريد، دون مَلل أو ضجرٍ أو كَلل، واصل دونَ خوفٍ أو إستكانة ..!

تَوَّخ حِذْرك

وتَعامَل بِفطرتكَ السَّويةِ الهَادِئة، ولَكِن إِحْذر منْ أن تُحبَّك فتاةٌ مُراهقةٌ على غَفلةٍ منكَ، أنْ تكون مُميزً لَديْها من بينِ العابرينَ، فهي ليستْ كَغيرِها مِن مَن برقتْ أَطرافُهم .

ليستْ كَالعابرينَ !

فقد وجدتْ برفقتكَ وُنْس الشريكِ، وهُدوءَ الطريقِ، وروحَ السلامِ التي ضاعتْ بينَ أسوارِ اليأس وصخبِ الصدورِ وضجيجِ الحياة .

فَلتحذَر !

من يَأتيك يومٌ وقدْ أضعتَ فيه شخصًا يُحبكُ بروحهِ وقَلبهِ، ومن أن تَأمنَ من لايُؤتَمَن على قَلبِك، هناكَ من يُحبك حبًا صادقًا لا مَراءَ فيهِ .

إطَمئن يا صَديقِي !

فَهي لم تَختفِي رغبةً مِنها وإنَّما إحترامًا لخصوصية أحزانكَ وأسْبابِك، أحَستكَ قبلَ أن تُحِبك، فهمتْ كلامكَ من سُكُوتِك، تقبلتكَ كما أنتْ دونَ جدلٍ أو نِقاش، تهتمُ بأدقِّ تَفاصيلكَ، ومِزاجِك المتقلبِ الذي ليسَ من فراغٍ بل خَلفهُ أسْباب .

إعلمْ أنَّها تَضُمك في الغيابِ قَبلَ الحضورِ، تعلمُ كيفَ تُحيِّي الضحكةَ التِّي ماتَت بداخلكَ، وتراكَ مختلفًا عن كلِّ البشر .

تحتوي أحزانكَ ولا تهونُ عليها أوجَاعُك ودُموعك، تحبُ وُجودك، تعشقُ رُوحك، وتتأقلمُ مع كلِّ ظُروفِك .

ستبقى معكَ دون فتورِ العواطفِ، بجانبكَ دائما لن تَختفَي أو تتغير .

بِلا مِيعَاد

سَآتِي في أوقاتٍ غَيرِ مُتوقَعة، في يومٍ ليس من ضمنِ الشُّهورِ، في السَاعَةِ الخامسةِ والعِشرينَ، سأحملُ فِي جُعبتِي أكثرَ من ثمانٍ وعشرينَ حرفًا، سآتِي قشةً كآخِر أملٍ لغريقٍ آمَن بالموتِ، وكلهَا في وقتٍ بلا مِيعَاد، خارجٍ عنَ حيزِ تفكيرِ العقلِ البَشرِّي .

وبلا ميعادٍ أيضًا !

تقبل فكرةَ أن هناكَ من تؤمنُ بكَ حينَما تكفرُ بنفسك وذَاتِك، كانتْ وما زالتْ تؤمنُ أنكَ ستخرجُ من سراديبِ الضياعِ، لاتدعُ لكَ بابَ يأس أو شعورٍ سيءٍ الا وقدْ بَذلتْ أقَصى نَبضاتِها وأنفاسِها المتعبةِ المُتقَّطعَة .

تحبُ الكتابةَ، وأنت أيضًا، والكتابةُ وأنتَ سيَّان لا يُمكنِها التفريطُ فيهمَا، ستأتيكَ في الوقتِ الذَّي لم تضعهُ بالحُسبانِ قائلةً : "دهاليزُ الضياعِ التي إنغمستَ وانحشرتَ فِيهَا، ما أنت إلا مخطئٌ من ذروةِ سنامكَ حتَّى أخمصِ قدميكَ "

كفَّ عنِ الركضِ وراءَ ما يؤرقكَ، ويعكرُ صفوَ لحظاتكَ .

حاوِل أن ترى أنَّها تَأتِي بِلا ميعادٍ، في أوجِ إحتياجهَا، لا تجدُ من يواسيهَا أحيانًا، تؤمنُ بكَ وتخففُ من أحمالكَ ولو القَليلَ .

قدرْ أيضًا من يعطيكَ الحُبَّ دونَ مقابلٍ، ومن يجبركَ رغمَ ما بهِ من كسورِ .

عَلى قيدِ الأَمَل

مشاعرٌ مُتضَاربة، لَهفَة، حلمٌ، ورُجُوع، أملٌ ويَأس، ترقبٌ ورصدٌ تتبعهُ رياحٌ عَاتِية وذكرياتُ شوقٍ تسلبُ العيونَ ماءَهَا، معاناةٌ قَاسِية وضَرباتٌ مُبرحة مُوجَعة، وما زالتْ على قيدِ الأَمَل !

ألفُ شعورٍ يخالطُ عَقْلها وقلبهَا، تنتظرُ يومًا تلقاكَ فيهِ لتُخبِرك بِما أثقلهَا من أحمالِ الحنينِ، تَتمنى أن تغتنمَ فرصةً واحدِة على الأقلِّ للحديثِ إلى قهوجي اللونِ صاحبُ هدوءٍ كخيوطِ الليلِ البَارِد !

ما تأملهُ حقًا وكما تشعرُ هَي أنكَ لستَ كالذينَ ظنَّت بِهم خيرًا، ووهبتْ لهم حُبًا، وأفضتْ عليهم ودًا وقربًا، نظراتُ عينيها سَتُخبِركَ :—

"وهبتُ أسبابَ الحياةِ لنفْسي، فنصبتْ لي مشانقَ الظُّلمِ والفقدانِ"

تشبثتْ بكَ !

لم تبخلْ عَليْها بسؤالكَ، ولا أطلالتكَ في عزِ ضَياعكَ، سنتدها وقتما تعثرتْ بحفرِ الحياةِ، تشبثتْ بكَ بعدَ أن غرقتْ أشرعةُ نَجَاتها وسرقتْ فَساتِينُ الفَرحِ من لِيالِي عُرسِها، أنقدتها من دواماتِ القلقِ والحيرةِ، أشعلتَ نُور شَمسها وأعدتَ ضوء القمرِ في عَينَيها .

كعجوزٍ واقفةٍ على الهاويةَ، شاحبةُ الملامحِ، ملأت السوداويةُ أيامهَا، كُنتَ أنتَ ذاكَ النبضَ الذي أعادها لقيدِ الأمل بعد أنْ صَفرت أجهزةُ اليأسِ وملأَ صفيرهَا غرفةَ الحياةِ لَديْها .

منَ الربعِ الإنِطوائِي إِلى الحَاجبِ الغَزِير

كثيرٌ من التساؤلاتِ، إلى أن أتَتنِي سكتةٌ ومتُ بلا موتٍ، ضجيجُ ذكرياتٍ بِعقْلي، إنفردتُ عن الجميعِ بِوحدتِي، وكانَ وجهِي الحزينُ عالقًا في ذاكَ الحديثِ معهُ ..!

-تكتب خَواطري من صَحراء الرُّبع الإنِطوائِي، فلأكْتُب عنكَ أحتاجُ لأن أكونَ إنْطوائِية، أعتزَل العالمَ والأبْجديَة برفقةِ حرفكَ، أغازلُ الكلماتِ وأغْزِلُها وأتغزلُ فِيها بِك، تعبتُ من الإِختفاءِ خلفَ سَتائرِ الحروفِ لألقاكَ، دورُ العاشقِ المجهولِ باتَ ثقيلاً عليَّ وعلى قَلبِي، ولكن حَيائِي كانَ المنتصرَ عليَّ دائمًا .

أغلقتُ سِتاري، أكتفيتُ بظلامِ الإنْطواءِ، وأيقنتُ أني أجيدُ دور العاشقِ المجهولِ خلفَ سِتار مَسرحِ مُواجَهتِك !

(ردَ عليَّ مباشرةً) ..

=سكنت رمال الساعة في مكانها دون حراك ، علمت حينها أنني الآن خارج الوقت ، أعانق السرمدية ، و أقف بكل فخر عند تقاطع الأزمنة ..

كسكون البحر كان عقلي ، و كأنني الآن لا أفكر و إنما أنساب مع الرياح و أسوق أمواجي بهدوء .. صوت أرتفع في أعماق المحيط ، ف إذا بي أعود الى ساعة الرمل ، و يالا الدهشة ، كان الرمل يتناثر معلنا عودة الوقت، في الحقيقة كان الوقت هنا طيلة والوقت و كنت أنا هناك ، ضائعًا في دهاليزي .

-في وسطِ صحرائِي، وشمسُ اللوعةِ التي سلبتَ ما تبقى من سوائل حبكَ التّى كنتَ تمدني بِها .. ركضت وركضتُ خلفَ السرابِ، ألهثُ لقياكَ أو قطرةً منْ ماءَ بحيرةِ الشوقَ، عسايَ أدركهَا وأرتوي من ماء شوقي إليكَ ولكنني نسيتُ أنني في صحراءَ،

من وسطِ حباتِ الرمالَ وهذيانِي بكَ كله كانَ سرابًا فقط، فلا أنت معي ولا أنا ارتويتُ بأن أراكَ، وأرى إقتضابَ حواجبكَ الغزيرةِ الجياشةَ ..!

لمْ نختمِ الحديثَ بعدُ وكانَ الشوقُ قد فعلَ بِي مالمْ يفعلهُ جزارُ بقطعِ اللحمِ، فَهو لمْ يَعلم كمْ شريانَ شوقٍ شدَّه عَلى قلبِي .

إنطوائية ..!

ولكنكَ مخطئٌ، فَهِي كانتْ تلجأ إليهِ كلما ضاقت بها الأرضُ ذرعًا .

أردفتْ لحَديثِهما "ثمةَ أحاسيسٌ مدسوسةٌ فِي حُروفِها حربٌ بينَ عقلي وقلبِي، فَكلاهُما يتنازعانِ عليكَ بشدةٍ، ولا أدري إلى أيِّهما أسْتمِعْ !

قبلَ أن تنطوي مجددًا كورقةِ خريفِ بائسة قالت مع نَفسِها :—

"إحداهنَّ تعلم كلَّ كَلماتك، تحبُّ أن تكتبَ عنكَ وأنت لا تعلمْ" !

أنَا وأنتَ مُتشابهان

في الوقتِ الذِّي كنتُ أبحثُ فيهِ عنْ مَن يربتُ على كَتِفِي، شخصٌ يَقبلنِي بِما أنا عليهِ يميلُ بِي ولا يميلُ عنِّي، يتقبلُ مزاجيتِي الطفوليةَ، أعلنَ العالمُ وقْتهَا إنعدامَ هذهِ المواصفاتِ، ليس لعدمِ وجودها، بلْ عقوبةً من الحياةِ على طيبتي المفرطةِ .

عَزائِي الوحيدُ لِخَيباتي أنَّنِي كنتُ أتعاملُ بعفويةٍ مُفرطة مع الناسِ، أفرشُ قَلبِي قبلَ خَّدي، كلُّ هَذا أنَّني كنتُ آملُ أنْ يكونَ لي مكانٌ عندَ أحَدهم ولكنْ هيهات ..!

لم أجد سوا العقوبةِ على تعاملي اللطيفِ المفرطِ .

وما ذنبي؟

قلبي، فبينَ أضلعي قلبٌ ينبضُ بالحبِّ بدلاً عنِ الدَّم، لكنِّي مفرطةُ الحسِّ، شديدةُ الخجلِ، كثيرةُ الصمتِ من الانطواءِ، يَحسبنِي الجاهلُ مغرورةً من كثرةِ صَمتِي، في المرةِ التي كنتُ أريدُ فيهَا البكاء تساقطتْ دموعِي مرةً واحدةً كمظلومٍ حكمَ عليه أن يرمَى منْ جبلٍ في أشمِّ ليلة مظلمة .

يا عزيزي روايتي عنكَ هذهِ المرةَ مختلفةٌ عنْ قصصُ الحبِّ، وروياتِ العشقِ السابقة، أصبحَ تِكْرارها مملاً، أنتَ إستثنائِي في هذهِ الرِّواية التي أنتَ بَطَلها، منذُ أنْ إلتقيتكُ أدركتُ بأننا مُتشابهانِ جدًا، نعشقُ الكُتبَ ونأخذُ بأنفسنا من ضيقِ العالمِ إلى رحابِ الصفحاتِ، ندركُ تمامًا أنَّ مَدينةَ الحبِّ لايَسكُنها العُقلاءُ .

وضعتكُ في بحرِ حياتي الكئيبِ جدًا، فأصبحَ نهرًا فُراتًا عذبْ، تهزمنِي الأيام وأحداثُها، فأعودُ إليكَ بِثقَلي، أخرجُ من محادثتي معكَ وكأنِّي طفلٌ لم يذقْ للحزنِ لونَا .

غيابهُ غُربَتِي

في الوقتِ الذِّي يغيبُ فيهِ، أكونُ باهتةً جدًا، باهتةً كزهرِ تشرينَ الذِّي تَمت سقايتهُ لفتراتٍ طويلةٍ ثم أُهمِلِ لِسنينَ عِدة، قدمَ إليها صَاحِبها ثم بعدَ أن ذبلتْ طلبَ منها أن تَعودَ وتُزهِر من جَديِد ..!

غيابهُ يجعلُ رائحةَ الهواءِ من حَولي مُغبرةً جدًا، يتركنِي وسطَ ثقبٍ أسودَ منَ الأحزانِ، يبلعُ ألوانَ الفرحِ كُلها حينَ يطلُ عليَّ، ويَأخذُها مَعهُ حِينَ يَغِيب .

تِلكَ المِزاجِيةُ ..!

في قَلبِها حُروبٌ لم تنتهِ بعد، بريئةٌ كالأطفالِ عاقلةٌ كالحُكَماء، تتقلبُ في مزاجهَا بتفردٍ وتَميز، لوثَتها عتباتُ الخذلانَ، وشتاتُ الفكرِ، ولهفةُ الإنتظارِ، ومرارةُ الفقدِ، من بينِ كلِّ هَذا تَذكرتْ أنَّك من بينِ كلِ إتجاهاتِ الحَياة، أنت الإتِّجاه الشَاسع .

كانَ بِهِ منَ الهدوءِ ما يكفي لإقناعِ قنبلةٍ ألاَّ تَنفجِر، سَعيدةٌ معه وكأني رأيتُ فيه كُل الأشياء

الحَنونة دُفعةً واحدة،بشوشُ لو رنا حزنٌ لِمبسمِه تَفجَّر السعدُ في شتّى نواحيهِ، كزهرةٍ ملونةً، كأجنحة فراشةٍ، يملكُ روحَ نَجمةٍ ربيعيةٍ، كما لو إنه خليط لِكل البهجةِ في هذا العالم .

من وسطِ العتماتِ :—

"هُناك نور بقلبي يُضيء عتمتي دائماً، هُناك أنت "

وجودكَ بقربي مرادفُ للطمأنينة .

الآن وقد أكملنا عامنا الأول، بكل شهورهِ، أيامهِ، ساعاتهِ، دقائقهِ، وثوانيهِ .
يمكن أن ترى هذا التَدرُجَ التنازليَّ هينًا، ولكن جرِّب وأقرأهُ تصاعديًا ومع كل
درجةٍ تقرأهَا يزدادُ عمقُ وتوطدُ تلك العلاقة .

النهـــــــــاية..

الفهرس

ذات مكان. 1

تلك الطاولة وأول حديث. 2

بودكاست محمد عبدالرحمن. 3

يوم ماطر. 4.

قرار متهور 5.

رصاصة طائشة. 6

دون مسمي. 7

لوحة كاتب. 9

خلف الستار. 10

يوم المناقشة. 11

بعض من الرمادي. 13

العبق الأسمر. 15

Ds: Afraa Emad

الفهرس

توخي الحذر. 17

بلا ميعاد. 19

على قيد الأمل 20

من الربع الإنطوائي إلى الحاجب الغزير 21

أنا وانت متشابهان. 23

غيابة غُربتي. 24

عن الكاتبة:-

دائمًا ما أميلُ لكوني غامِضةً أعيشُ بمبدأ القَريبةِ البَعيدة وكلُ ما يصُب في مَبادئِ التَّناقُض، أنْ أكُون الصَّفحةَ المميزةَ في كتابٍ مجهول يَتحمسُ لَها القَارئ، أو كتابًا يُبهِرك بمحتواهُ ولا يَخدعُك بِعُنوانهِ ..!

إن أحببتُ فَسأُعْطِي جُلَّ ما أمْلِك، وإن مللتُ فسأغادرُ بكلِّ لطفٍ كغيمةٍ مرتْ وروتْ، أو كنسمةٍ هَبَّت وإختفتْ بَعدهَا .

لا أملكُ الكُرهَ في قاموسِ حياتِي ولا أعرفُ لهُ سبيلا، فالمحبُّ إنْ أحبَّ لا يَكرَه .

للكاتبة: زكية أحمد